

شرح رياض الصالحين

باب بر الوالدين وصلة الأرحام

قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: 36].

عن ابن مسعود رضي الله عنه: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا، قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: ثُمَّ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ، قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوْ اسْتَرَدُّتُهُ لَزَادَنِي.

الراوي : عبدالله بن مسعود | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري

كان الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم -لِحِرْصِهِمْ عَلَى مَا يَقْرَبُ مِنْ رِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ- كَثِيرًا مَا يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ، وَأَكْثَرِهَا قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَكَانَتْ إِجَابَاتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ أَشْخَاصِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ، وَمَا هُوَ أَكْثَرُ نَفْعًا لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَسْأَلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْمَرْضِيَّةُ لَدَيْهِ الصَّلَاةُ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا، وَذَلِكَ بِأَنَّ يُحَافِظَ الْمُسْلِمُ عَلَى آدَائِهَا بَعْدَ سَمَاعِهِ الْأَذَانَ، وَذِكْرُ الْأَفْضَلِيَّةِ هُنَا لِلْحَضِّ وَالْحَثِّ عَلَى الْإِسْرَاعِ إِلَى الصَّلَاةِ، وَعَدَمِ التَّكَاسُلِ وَالتَّأخِيرِ فِي آدَائِهَا، وَلِأَنَّ فِي آدَائِهَا فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ دَلِيلًا عَلَى الْحِرْصِ عَلَيْهَا، وَعَلَى أَنَّ الْمُسْلِمَ يَعْرِفُ حَقَّ

الله، ويُحافظُ عليه، ويؤدِّيهِ إذا وَجَبَ عليه في وَقْتِهِ، دُونَ تَأْجِيلٍ أَوْ تَسْوِيفٍ، وَلَا يَدْخُلُ
فِيْمَنْ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} [الماعون: 4، 5]
وَهُمُ الَّذِينَ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا، أَوْ حَتَّى يَخْرُجَ وَقْتُهَا. ثُمَّ سَأَلَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى بَعْدَ الصَّلَاةِ؟ فَأَخْبَرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ؛
بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا، وَالْقِيَامِ بِخِدْمَتِهِمَا، وَتَرْكِ عُقُوبَتَيْهِمَا. وَلَمَّا كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ لَهُ أُمٌّ؛ احتاجَ إِلَى ذِكْرِ
بِرِّ وَالِدَيْهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ حَقُّ اللهُ، وَحَقُّ الْوَالِدَيْنِ يَأْتِي بَعْدَ حَقِّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا
قَالَ تَعَالَى: {أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [لقمان: 14]. ثُمَّ سَأَلَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ
عَنْهُ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى بَعْدَ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ؟ فَأَخْبَرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ الْجِهَادُ
فِي سَبِيلِ اللهِ؛ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِظْهَارِ شَعَائِرِ الإِسْلَامِ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ.